الفصل الثالث

المدارس الإسرائيلية معامل تفريخ التطرف والعنف

لأنهـا دولـة لقيطة لم تكن ولادتها شـرعية تحـول الهاجس الأمنى فيها لإحدى السـمات الأساسية المميزة لطبيعتها لتصبح الخدمة العسكرية ملزمة لجميع أفرادها.

تبدأ من الثامنة عشـرة وحتى الحادية والعشـرين، وهى خدمة إلزامية على كل فرد هناك، بعدهـا تتحـول الخدمة إلى احتياطية لمدة ٤٠ يوماً فى السـنة، ويسـتمر هذا الوضع حتى سـن الخامسة والثلاثين لتنخفض مدة الخدمة بعد هذه السن إلى شهر فقط فى السنة حتى يصل الفرد إلى سـن الخامسـة والخمسين، معنى ذلك أن الخدمة العسـكرية هى واجب على كل فرد طيلة عمره. حتى النسـاء فى إسـرائيل لا يتم اسـتثناؤهن من أدائها، وإن اختلفت بالطبع المدة التى يقضينها حيث تقتصر مدة الخدمة العسـكرية على عامين فقط للنسـاء، أما الخدمة الاحتياطية فهى اختيارية وتتوقف بعد مجىء الطفل الأول.

فالأمن فى إسـرائيل تحول إلى دين لها، فالسـمة الأساسـية للكيان الصهيونى إنها جماعة مذعـورة تعانى عقدة الخوف من الأغراب، وعقدة الخوف من الإبادة، لتصبح مسـألة اسـتمرار الوجود أو الأمن القيمة الأسمى، وتحتل أعلى درجة من سلم الأولويات[1].

وكان الاسـتنتاج الذى توصل إليه قادة الحركة الصهيونية هو أن الصراع بين العرب ودولة إسـرائيل هـو صراع وجـود وليس صراع على حـدود أو أرض أو مواد طبيعيـة من هنا كانت الاسـتراتيجية التى اعتمدها الصهاينة من أجل تحقيق الحسم فى هذا الصراع هو القوة. والقوة فقـط القائمـة على المنعة العسـكرية. الأمر الذى أدى إلى سـيادة الطابع العسـكرى للمجتمع الإسـرائيلى برمته لدرجة دعت رئيس وزراء إسـرائيل دفيد بن جوريون للقول: إن إسـرائيل عبارة عن مجتمع للمحاربين.

وهو ما يؤكد على مظاهر تأثير العسكرة على المجتمع الإسرائيلى. فهذا المجتمع الذى يقدس القـوة لا يحـترم إلا القيم التى تعكسـها. من هنا فإن المجتمع الإسـرائيلى يمر بعملية عسـكرة

---

(١) حمد الوعد- تعليم الحقد قراءة فى تشكيل العقل الصهيونى.

متواصلة، فالساسة هم جنرالات متقاعدون ومدراء المؤسسات الاقتصادية، هم من خريجي الجيش والصحف ووسائل الإعلام تبحث عن معلقين من كبار الضباط المتقاعدين[1].

وضمن هذه العملية تمت عسكرة التعليم أيضاً في الدولة العبرية، وهو كما تقول الباحثة والكاتبة الصحفية الإسرائيلية إرناكازين فإن من يطلع على مناهج التعليم في المدارس الإسرائيلية في جميع المراحل لابد أن يلفت انتباهه التوجه القائم عن التنشئة التربوية القائمة على روح العسكرة والتطوع في الجيش وإعداد الطفل ليصبح مقاتلاً[2].

وسارت هذه الروح منذ قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ وتغلغلت في جميع الأجهزة الرسمية وغير الرسمية الإسرائيلية ضمن محاولة لخلق «الإسرائيلي الجديد» الإسرائيلي اليهودي الذي خرج منتصراً ضد سبعة جيوش عربية وأقام دولة، بعد ألف عام كما يحلو لواضعي فلسفة التعليم الإسرائيلي أن يكرسوا ذلك في أذهان الأطفال والشبيبة وإلى غير ذلك من المزاعم الأسطورية. وتعززت هذه الروح بعد حرب ٦٧. وتجسدت عملية عسكرة التعليم في الدولة العبرية في مظاهرات ثلاث أساسية:

أولاً: زرع مفاهيم العسكرة والخوف في نفوس الطلاب.

ثانياً: تكليف العسكر بإدارة مؤسسات التعليم وممارسة مهنة التعليم بأنفسهم.

ثالثاً: ظهور المدارس الدينية العسكرية والتي تعتبر أخطر مظاهر عسكرة التعليم الإسرائيلي. لأن الطلاب هناك تتم تربيتهم على العسكرة وعلى التطرف الديني في صورة الأكثر سوداوية[3].

وتكرس المناهج الدراسية أهدافها لتنشئة التلاميذ على الروح العسكرية وإعداد الأطفال ليصبحوا مقاتلين، بالحرص الدائم على غرس روح العداء فيهم إلى الآخر- خاصة العرب- وغرس الإحساس بالتفرد والفوقية- وفي المقابل التحقير من الآخر واعتبارهم في مرتبة أدنى من اليهود.

وتتبع الدولة العبرية أساليب عدة لتحقيق هذا الهدف وتعتمد على التشويق والجذب لتصل إلى هدفها بسهولة خاصة وهي تتعامل مع المراحل السنية المختلفة لتلاميذها.

على سبيل المثال أثناء الاحتفالات بيوم الاستقلال التي تقام تزين الدبابات ويتركون لطلاب المدارس حرية الحركة من الصعود إليها، أما الروضات فيتم تزيينها بالأعلام، ولا يفوتهم في هذه المناسبة أيضاً زرع بذور الكراهية وتكريس العداء إلى الآخر، ويتم ذلك باعتراف الباحثة الإسرائيلية- مركز التربية النقدية- ففي عيد الأنوار يصور الإغريق على أنهم أشرار، واليهود على أنهم طيبون، أما في عيد الفصح فيصور الفراعنة بأنهم أشرار، ويظهر اليهود بالطبع على أنهم الطيبون.

---

(١) صالح نعيمي- عسكرة التعليم في إسرائيل، مظاهر وتداعيات.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

تسخر أيضاً إسرائيل رحلات طلابها المدرسية لتنمية الروح العسكرية، حيث تنظم الرحلات بانتظام إلى مواقع المعارك، وتنظم رحلات لطلاب الثانوية لمشاهدة تمارين عسكرية تتم فى المعسكرات، ويقوم الطلاب بإرسال الهدايا للجنود.

ولا يفتهم أيضاً تنظيم الرحلات إلى بولندا لزيارة معسكرات اعتقال اليهود حتى يشب الطلاب وقد رسخت فى أذهانهم ذاكرة الاضطهاد فى أذهانهم.

وتزخر ردهات المدارس بالإعلانات التى تدعو الطلاب للتجنيد فى وحدات الجيش المختلفة، بينما تستضيف المدارس الجنود للتسويق لوحداتهم.

وهكذا تتم عسكرة المدارس ليصبح التعايش مع هاجس الحرب جزءاً من الحياة الإسرائيلية، وحقيقة وجودية أو كابوساً وجودياً لا مفر منه- على حد تعبير عالمة النفس الإسرائيلية عاميا ليبليخ والتى ترى أن المجتمع الإسرائيلى تحول إلى ثكنة عسكرية تعطى للقيم العسكرية وعلى رأسها النزعة العدوانية المقام الأول بحيث يكون العربى دائماً هو العدو اللدود.

وهناك خلط واضح بين المؤسسات التعليمية والعسكرية، أما الهدف من وراء ذلك فهو بث روح الفزع من الجيران، ويتم تكريس هذا الإحساس من خلال التركيز على ما يطلقون عليه الماسادا، وهى قلعة تقع على صخرة يقال: إن بعض المقاتلين اليهود لجئوا إليها وحصارهم الرومان فيها عام ٦٦م وأجبروهم على الانتحار[١]، لتصبح الماسادا هى رمز الاضطهاد الذى تحوله الدولة العبرية على عقدة تصر على غرسها وتأبى على أحد الإفلات من الإصابة بها. وفى سبيل تحقيق ذلك تركز بشكل خاص على معاناة اليهود فى المحارق النازية المعروفة بالهولوكست لتعميق الإحساس الدائم بالخطر والخوف من التعرض للإبادة فى أى لحظة.

يفعلون ذلك من منطلق الإيمان بمبدأ أن تلميذ اليوم هو جندى الغد، لتتحول إسرائيل إلى جيش له دولة وليس العكس وتصبح الدولة العبرية مجتمعاً عسكرياً من رأسه إلى أخمص قدميه[٢].

ويعتبر الجيش واحدا من أكبر المؤسسات التعليمية نظراً للعدد الكبير من المدارس والمعاهد والكليات العسكرية التابعة له، هذا بالإضافة إلى مؤسسات تعليمية أخرى يشرف عليها ضباط خدموا بالجيش. وتضمن هذه المؤسسة للعسكريين إمكانية الحصول على الشهادة الثانوية من خلال الجيش، وهناك بعض البرامج التعليمية المخصصة ليعض الفئات التى تخدم الجيش، ويعمل الجنود كمعلمين فى المدارس الموجودة بالمستوطنات الحدودية[٣].

---

(١) عبد القادر ياسين- آخر ساعة- بحث التربية العسكرية فى المناهج الإسرائيلية.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

وتعتبر الخدمة العسكرية أكبر تجربة حياتية يعرفها الإسرائيلي، حيث يمضي ما بين الثامنة عشرة وحتى الحادية والعشرين في الخدمة الإلزامية، خلال هذه الفترة يتلقى كمًا هائلا من المقولات الدينية الأمنية، منها على سبيل المثال أن إسرائيل تعيش في حالة صراع طويلة حول شرعية الوجود وأن ثمة تهديدا فعليا لتدميرها.

ويتلقى الطالب في مقاعد الدراسة مفاهيم تربوية عنصرية مستمدة من التوراة ومن الفكر الصهيوني حيث يتم توظيف ذلك لتوجيه الحقد تجاه العرب باعتبارهم مصدر الخطر المحدق في إسرائيل.

وتقف المؤسسة الدينية وراء الجيش وتضع على عاتقها مهمة غسل عقول أفراد المجتمع وغرس أفكار الحقد، وتقوم فلسفة التربية في إسرائيل على تطبيق الإيديولوجية الصهيونية وغرسها في عقول المتعلمين، وفي نفس الوقت تبرر النزعة العدوانية وضرورة اقتلاع العرب من جذورهم.

من هنا كانت الامتيازات الممنوحة للمدارس الدينية، منها الاعتراف بمؤسسات ومدارس التلمود من قبل وزارة التربية وإعفاء مدارس التبشير الديني ومساواة طلاب المدارس الدينية مع غيرهم.

من ناحية أخرى نجد أن وزارة التربية هي مطمع دائم تتنافس كل الأحزاب– وبالأخص المتطرفة– منها للحصول عليها، والملاحظ أن ثلث مدارس إسرائيل تديرها وزارة الأديان، وتخصص هذه المدارس ٢٧٢ ساعة سنوياً للتدريب العسكري الذي يتلقاه الطلاب فيها.

ومن الضباط من تولوا وظائف مرموقة في جهاز التعليم بدون أي إعداد تربوي مثل خلودائي– الذي تولى رئاسة بلدية تل أبيب والذي سبق له أن كان مديراً لمدرسة حمناسياهرتسليا ودرور الوني.

وبعض الضباط الذين تولوا مناصب مرموقة في جهاز التعليم وكان لهم سجل إجرامي واضح ضد أبناء الشعب الفلسطيني مثل العقيد إيلان باتسمان الذي كان حاكماً عسكرياً لكل من رام الله وجنين. واللافت للنظر والمثير للاستهجان أن القائمين على جهاز التعليم في إسرائيل يعلنون أنهم لا يستعينون بخدمات الضباط في التدريس لأغراض تربوية وتعليمية بل لتكريس قيم العسكرة لدى الطلاب[1].

وهو ما اعترف به صراحة حوطي ساجي مدير مشروع برنامج إعداد الضباط في جهاز التعليم الإسرائيلي يقول مدافعاً عن الاستعانة بالضباط في التدريس قائلاً: لدينا في جهاز التعليم لا يبحثون عن معلمين مهنيين؛ بل قياديين فضباط الجيش المتقاعدون يتمتعون بميزات خاصة وقدرات ضخمة.

---

(١) صالح النعامي– المرجع السابق.

ويتحدث عن مزايا الضباط كمدرسين: هؤلاء الضباط فى عيونهم بريق وإحساس بأداء الرسالة «ويضيف» يقف أمام الطلاب رجل برتبة عسكرية بشخصيته القوية فيحقق نجاحاً كبيراً.

وتفسر الدكتورة سيغال بن بوران أساتذة التربية فى جامعة حيفا ميل جهاز التعليم الاستعانة بخريجى الجيش بقولها: أن تكون مواطناً جيداً فى إسرائيل يعنى أن تخدم فى الجيش وتندمج فى سوق العمل، وتضيف أن مصطلح المواطنة الجيدة يخلو تماماً من المضامين الديمقراطية والإنسانية وتستنكر أن جهاز التعليم فى الدول الديمقراطية يجب أن ينمى مواطنين، وليس جنوداً ولا عمال[1].

وينطبق ذلك أيضا على المدارس الدينية ففى أواخر السبعينات توصلت المرجعيات الروحية للتيار الدينى الصهيونى إلى اتفاق مع هيئة أركان الجيش الإسرائيلى تم الاتفاق بموجبه على أن تتولى المدارس الدينية التابعة لهذا التيار مهمة إعداد الشباب الذين ينتمون لتيار الصهيونية الدينية لمرحلة الجيش، بحيث يتولى الحاخامات الذين يشرفون على هذه المدارس محاولة حث الشباب للتطوع للخدمة فى الوحدات المفككة والمختارة فى الجيش وذلك عبر زرع قيم التضحية من أجل الوطن وغيرها من القيم فى نفوس هؤلاء الطلاب إلى جانب إعدادهم بشكل مهنى لمرحلة الجيش بحيث يتم إعداد هؤلاء الطلاب عسكرياً عن طريق ضباط يقوم الجيش بإرسالهم إلى هذه المدرسة ليتولوا تدريب الطلاب على استخدام السلاح وبعض التدريبات العسكرية داخل إطار المدرسة.

ويتولى الجيش دفع مستحقات التعليم فى هذه المدارس إلى جانب دفع رواتب إلى الحاخامات الذين يتولون التدريس فيها لكن الجيش فى نفس الوقت لا يتدخل فى مناهج التعليم غير العسكرية، حيث يحظى الحاخام الذى يدير المدرسة بحرية عمل كاملة. فنظام التعليم فيها مستقل تماماً وتتحكم فيه المرجعيات الروحية والتيار الدينى الصهيونى دون أى قدر من الرقابة على مضامين مناهج التعليم فيه. إلى جانب مظاهر العسكرة الصارخة التى تقوم عليها هذه المدارس فإن الطلاب فيها يتلقون تعليماً دينياً بالغ التطرف ويقوم على العنصرية وكراهية الآخر بشكل فج. ويكفى أن نعرف أن معظم هذه المدارس تقع إما فى المستوطنات، وإما فى القدس المحتلة ويشرف عليها مدراء من أكثر الحاخامات تطرفاً. وإلى جانب العسكرية فإن هذه المدارس تربى طلابها بصراحة على رفض القيم الديمقراطية[2].

يقضى هؤلاء ثمانية عشر شهراً فى هذه المدارس يمارسون خلالها تعليمهم الدينى فى نفس الوقت يؤدون الخدمة العسكرية مع العلم أنه بعد تخرجهم فيها يقضون ثلاثين شهراً إضافية فى الخدمة العسكرية.

---

(١) صالح النعامى- المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

ويبلغ عدد هذه المدارس ٤٢ مدرسة والشعار الذى ترفعه هذه المدارس أن الخدمة العسكرية والروح القتالية هى مهمة جماعية يفرضها الدين بهدف قيادة المشروع الصهيونى، من هنا كان كل طالب فى هذه المدارس لا ينظر خلال تأدية الخدمة العسكرية أنه يؤدى خدمة إجبارية تنتهى بعد ثلاث سنوات بل إنها بوابة واسعة لممارسة التأثير على مستقبل الدولة وعلى عملية صنع القرار فيها[1].

واللافت للنظر أن معظم المدراء والمعلمين فى المدارس الدينية العسكرية هم من الحاخامات، وبعضهم يعتبر مراجع هامة للإفتاء. وفتاوى هؤلاء يتم تدريسها فى هذه المدارس للطلاب، ويتم التعامل معها بقدسية الكتب المقدسة.

وفى المدارس الدينية العسكرية يتم تدريس عدد كبير من الفتاوى التى تعمل على تكريس ثقافة الكراهية وتدفع الشباب اليهودى إلى تبنى مواقف عنصرية من العرب والمسلمين، وتمهد لارتكاب المجازر ضد الفلسطينيين . ومن أخطر هذه الفتاوى التى يتم تلقينها لطلاب المدارس الدينية العسكرية الفتاوى التى يصدرها الحاخام موردخاى إلياهو– الحاخام الأكبر السابق للدولة العبرية– وأهم مرجعية دينية للصهاينة المتدينين، وتتحول فتاوى هذا الحاخام إلى مادة دراسية وعلمية يتنافس المدرسون من الحاخامات لتدريسها، وقد أصدر هذا الحاخام فتوى تدعو إلى إبادة الفلسطينيين بشكل كامل.

مردخاى قال فى فتوى تم تعميمها فى جميع المدارس الدينية العسكرية: إنه يتوجب قتل جميع الفلسطينيين حتى أولئك الذين لا يشاركون فى القتال ضد الاحتلال.

لم يكتف بذلك بل اعتبر أن هذه ليست مجرد فتوى بل فريضة من الرب يتوجب على اليهود تنفيذها. بعد أسبوع واحد من هذه الفتوى قام الحاخام (إليعازر ملميد) مدير المدرسة الدينية العسكرية فى إحدى المستوطنات بإصدار فتوى تبيح لطلاب مدرسته سرقة محاصيل المزارعين الفلسطينيين على اعتبار أنها جزء من الأغيار الذين يجوز لليهود استباحة ممتلكاتهم، وبالفعل تم تطبيق فتوى الحاخام، فقام تلاميذه بنهب المحاصيل الزراعية الفلسطينية شمال الضفة[2].

أما الحاخام دوف لينور فقد حظر فيها تبرع اليهود بأعضائهم للأغيار لكنه أباح لهم عند الضرورة تلقى التبرعات مماثلة من أولئك الأغيار وأمام احتجاج رابطة تبرع الأعضاء فى إسرائيل غيَّر الحاخام فتواه قليلاً بحيث أباح لليهودى أن يتبرع بعضو لشخص يحتاج فى حالة الضرورة وقال: إن اليهود إذا ما امتنعوا عن التبرع للأغيار. فإن هؤلاء الأخيرين لن يعطوهم شيئاً

(١) صالح النعامى– المرجع السابق.

(٢) صالح النعمانى– دراسة عسكرة التعليم فى إسرائيل– مظاهر وتداعيات– المركز الفلسطينى الإسرائيلى.

بالتالى- وهذا قد يسهم فى الإضرار باليهودى الذى قد يحتاج إلى الحصول على عضوية بديل ينقذ به حياته ومن ثم اعتبر أن السماح بتبرع اليهودى لأى واحد من الأغنياء هو فى حقيقة الأمر احتياط هدفه تحقيق مصلحة اليهودى فى أى فترة لاحقة غداً أو بعد غد[1].

كما أصدر دوف ليتوف الحاخام الأكبر لمستوطنة كريات أربع شمال مدينة الخليل ورئيس مجلس المستوطنات فى الضفة الغربية والذى يدير مدرسة دينية أصدر فتوى تبيح للمستوطنين تسميم مواشى ودواب وآبار المياه التى يملكها المزارعون الفلسطينيون، ولم يتردد طلاب مدرسته فى تنفيذ الفتوى، فلا يكاد يمضى يوم واحد فى الفترة التى تلت إصدار الفتوى دون أن يستيقظ سكان البلدات المجاورة للمستوطنة ويجدون الكثير من دوابهم تنفق بفعل السموم التى يرشها الطلاب على المراعى وفى عام ٢٠٠٥ وجه كبار الحاخامات اليهود رسالة تتضمن فتوى دينية إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق إرئيل شارون حثوه فيها على عدم التردد فى المس بالمدنيين الفلسطينيين خلال المواجهات المندلعة فى الأراضى المحتلة، ووقع على الفتوى حاخامات مسئولة عن المدارس الدينية، الخطير أن هذه الفتوى تم تدريسها على طلاب المدارس الدينية فى جميع أنحاء الدولة العبرية[2].

ومن أكثر المواد العنصرية التى تدرس فى المدارس الدينية تلك الفتاوى التى يطلقها الزعيم الروحى لحزب شاس عورفايحا يوسف ومنها قوله «عندما يأتى المسيح المنقذ فإنه سيرسل كل العرب إلى جهنم».

ويقبل طلاب المدارس الدينية أيضاً على الاطلاع على كتب دينية ذات طابع عنصرى مقيت منها الكتاب الذى أصدره الحاخام إسحاق جينزبرج وعنوانه: «باروخ البطل» تخليداً لاسم باروخ جولد شتاين الذى نفذ مجزرة الحرم الإبراهيمى عام ٩٤، ويعتبر هذا الحاخام أن جولد شتاين قد قام بعمل «جليل ومجيد» وهكذا، فإن جميع طلاب المدارس الدينية يتربون على أن جولد شتاين هو فى مدينة القديسين وجعلوا من قبره مزاراً يتبركون به.

تكمن هذه الخطورة فى تأثير هذه الفتاوى العنصرية التحريضية على طلاب المدارس الدينية العسكرية وهو ما كشفت دراسة أعدها قسم العلوم الاجتماعية بجامعة «بار إيلان» التى يسيطر عليها المتدينون، تبين أن أكثر من ٩٩٪ من طلاب المدارس الدينية العسكرية و٩٠٪ من المتدينين بشكل عام يعتقدون أنه فى حال تعارضت قوانين الدولة وتعليمات الحكومة مع فحوى الفتاوى الصادرة عن الحاخامات فإن عليهم أن يتجاهلوا قوانين الدولة وتعليمات الحكومة والعمل وفق ما تنص عليه فتاوى الحاخامات[3].

---

(١) صالح النعامى- المرجع السابق.

(٢) صالح النعامى- المرجع السابق.

(٣) صالح النعامى- المرجع السابق.

ويتم التركيز فى المدارس الدينية بشكل خاص على دراسة سفر «يوشع بن نون» والذى يزخر بعبارات القتل والإبادة للأغيار مركزاً على المذابح التى ارتكبها يوشع فى أريحا من قتل للزرع والضرع والطفل والشيخ حتى إنه لم يبق أحد من سكانها.

وتتمتع الحاخامية اليهودية بصلاحيات واسعة فى مجال التعليم، وتهتم الحاخامية بالتعليم وتستغله لتلقين الطلاب المبادئ الصهيونية وتسخيرهم لخدمة أهدافها فى المستقبل.

وعلى حد قول الحاخام شترنشتاين «يجب أن يتعلم الأولاد الصهيونية لا اليهودية فقط[1].

وتتراوح المنحة التى تخصصها وزارة الأديان للطالب فى المدارس الدينية لتشجيعه للالتحاق بها ما بين ١٥٥٠إلى ٧٢٠٠ شيكل، وتسيطر وزارة الأديان على أكثر من ٥٠٠ مدرسة دينية عامة، و٧٧ مدرسة دينية عليا، و٤١ مدرسة دينية متوسطة و١٥ مدرسة دينية عسكرية[2].

الكاتب اليهودى المعادى للصهيونية حوشى مينوحين صاحب كتاب انحلال اليهودية كتب منتقداً ما يجرى فى المدارس التعليمية: «علمونا فيها أن نكره العرب وأن نحتقرهم ونطردهم من وطننا ومسقط رأسنا».

ويجمع الباحثون على أن الكتب التى تشكل المصادر الأساسية للتربية الصهيونية هى كتب العقيدة اليهودية وفى مقدمتها العهد القديم (التوراة– الأنبياء– والمكتوبات) وكتب الشراح والمفسرين من الحاخامات كالتلمود (المشنا والجمارا) والمدارش والهلاخا والهجدا بما تتضمنه من أصول للمعتقد اليهودى والأحكام والنصوص التاريخية والأخلاقية، وقوانين اليهود السياسية والمدنية والدينية، يضاف إلى ذلك قرارات زعماء اليهود من مصادر التربية الصهيونية والمرتكز الأساسى للعملية التربوية.

يضاف إلى ذلك قرارات زعماء اليهود فى الثلاثة والعشرين مؤتمراً (منذ ١٨٩٧ وحتى ١٩٥١) وآخرها المؤتمر الذى انعقد فى القدس لأول مرة عام ١٩٥١ ليبحث فى الظاهر مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بينما كان الهدف وفى كل هذه المؤتمرات جميعها دراسة الخطط التى تؤدى إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية، والاستيلاء على العالم بشتى الوسائل.

وهذه الكتب والمراجع والقرارات شكلت دائماً الإطار العام الثابت لليهودية كمعتقد، وهناك باحثون آخرون يرون أن المصدر الثانى للتربية الصهيونية من حيث الأهمية، هو مؤلفات مؤسسى الصهيونية الأوائل، ومن هذه المؤلفات على سبيل الحصر كتاب روما والقدس لموسى هس (١٨١٢– ١٨٧٥) وكتاب الدولة اليهودية لهرتزل. يضاف إلى ذلك كتابات ثلاثة مفكرين آخرين كانوا علامات بارزة فى التاريخ الصهيونى وهو أحدهم عام (١٨٥٦– ١٩٢٧) وهو

---

(١) صالح النعامى– المرجع السابق.

(٢) صالح النعامى– المرجع السابق.

صاحب فلسفة الصهيونية الثقافية وأهرون دافيد جوردون (١٨٥٦– ١٩٢٢) وهو صاحب فلسفة دين العمل وفلاديمير جابوتنسكى صاحب فلسفة القوة (١٨٨٠– ١٩٤٠)[١].

كان لابد للكتاب التعليمى أن يضع بين يدى الطالب اليهودى الحلول الشاملة للمسائل التى تطرحها أمامه الصهيونية، وفى مقدمتها الاحتلال والاستيطان والهجرة وترحيل «الجوييم» من الفلسطينيين وإخوانهم من عرب الجوار، ومن تستطيع إسرائيل احتلال أراضيهم أو جزء منها، ضمن حملاتها العسكرية التوسعية التى تشنها عليهم بين حين وآخر، ومن يطلع على نماذج من الكتب المدرسية يستطيع أن يدرك هذا الاتجاه العدوانى لدى الناشئة اليهود، فكل أرض تطؤها قدم الجنود اليهود هى أرض يهودية، خيرات الأرض والعالم أجمع منحة لهم وحدهم من الرب، وكل ما فى أيدى غيرهم من (الجوييم) أو الأمميين هو ملك اليهود، فما تحت أيديهم أى (الجوييم) مغتصب من اليهود وعليهم استرداده منهم بكل الوسائل ولا حياة لشعوب الأرض بدون اليهود[٢].

وبدأت عملية تطوير هذا الاتجاهات التربوية الصهيونية منذ بداية الشروع فى إنشاء المستعمرات والمستوطنات اليهودية على أرض فلسطين عام ١٨٧٠ وبشكل خاص على أرض المدينة المقدسة إلى جانب المشاريع الاستيطانية العديدة منذ برنامج العودة إلى صهيون ومحبة صهيون وبدء إقامة الأحياء اليهودية على أرض القدس فى نصف القدس فى النصف الأول من القرن التاسع عشر بمبادرة (موسى مونتفيورى) الضابط فى الجيش البريطانى الذى كان مقرباً من قصر الملكة فكتوريا، وقد تزامن ذلك مع بدء ظهور الكتابات الصهيونية المؤسسة لكل من موشيه هس (روما والقدس) وليونسكر التحرر الذاتى ومؤلفات إليعازر بن يهودا فى إحياء اللغة العبرية وبعثها وتنظيرات زعيم الصهيونية ومؤسسها هيرتزل ودعوات أهرون دافيد جوردون لاحتلال العمل العربى على أرض فلسطين وإحلال العمل العبرى بدلاً منه[٣].

من هذا الكم الهائل والمتراكم من المفاهيم والمخططات الصهيونية بنى الكيان الإسرائيلى سياسته التربوية، وكان للانتداب البريطانى دور بارز فى ذلك منذ اللحظة التى تدخلت فيها بريطانيا بشكل مباشرٍ فى فلسطين إثر صدور وعد بلفور عام ١٩١٧، وإعلان الانتداب عام ١٩٢١.

وفى عام ١٩٥٣ قام الكيان الصهيونى بسن قانون التعليم للدولة، حيث تنص المادة الثانية على أن التعليم فى دولة إسرائيل يجب أن يرتكز على قيم الثقافة اليهودية والولاء لدولة إسرائيل والشعب اليهودى وتحقيق مبادئ الريادة فى العمل الطلائعى الصهيونى[٤].

---

(١) السواحرى– المرجع السابق.

(٢) خليل السواحرى– المرجع السابق.

(٣) سمير سمعان– المرجع السابق.

(٤) سمير سمعان– المرجع السابق.

يقـول أحادهـا عام- أول من دعا إلى إنشـاء جامعة عبرية فى فلسـطين «من الضرورى إقامة المدارس ليتخرج فيها جيل يهودى سـليم الروح والعقل والجسـم، ومن الضرورى تجديد العمل العبرى المدروس سـيكولوجياً واجتماعياً القادر على احتواء السـلبيات التى قد تبرز أثناء التطبيق العملى، يصهر اليهود فى بوتقة المسـيرة التوراتية واضحة الهدف والأسـلوب، فبادئ ذى بدء تقام حركة يناط بها إنشـاء المسـتوطنات بناء على خطة ثابتة، ثم تبنى مدارس صهيونية وأماكن علمية لتربية جيل يهودى سليم فيتخرج الشباب وقد تربوا على حياة جديدة تمكنهم من دخول المعارك ضد العدمية- وغير اليهود[1].

أما زبولون هامر أحد وزراء المعارف والثقافة فى الكيان الصهيونى فقد أكد على يهودية التوجه التربوى منذ بداية السنة الدراسية ٨٢- ٨٣.

فقال: إن أفضل بشرى هو أن يكون الفرد يهودياً وإسرائيلياً فهذا تحد كبير فى القرن العشرين ونحن من أجل ذلك مسـتعدون لخوض الحروب، إذ كانـت هناك ضرورة لتحقيق هذه الأمنية، وقد قطعت إسـرائيل شـوطاً كبيراً فى اتجاه تحقيق هذا الهدف بدءاً من نكبة ١٩٤٨ وحتى الآن تجسيداً للفكر الصهيونى الذى يتعلمه الطفل اليهودى فى مراحل تربيته الأولى.

ويظهر ذلك واضحا فى البرامج المقررة فى المدارس الدينية العسـكرية فتتم كالتالى أولاً الاسـتيقاظ ورفع العلم والصلاة ثم تكفى خمس ساعات من الدراسات الدينية، وفى فترة الظهيرة يتم تلقى الدروس النظرية العادية- فيزياء- رياضة- علوم بيولوجية- كيمياء بالإضافة إلى تعاليم أرض إسرائيل.

ثم تبدأ التدريبات العسـكرية قبل المسـاء فيتم تقسـيم المدرسـة إلى أربع سـرايا، لكل سرية قائد ومسـاعد قائد، وتشـمل التدريبات الرمى على أهداف ثابتة ومتحركة، والدروس العسكرية الأخـرى لتعليم النظام- اللياقة- رمـى القنابل- زرع الألغام احتلال المناطق المحصنة- الهبوط بالمظلات- التوجيه المعنوى والإسعافات الأولية.

ويقـوم بالتدريس فى هذه المدارس ضباط احتياط بالجيش الإسـرائيلى، كما يحق لهم تأجيل الخدمة العسكرية لحين الانتهاء من الدراسة.

ويلقى خريجو هذه المدارس الدعم الكامل طوال فترة الدراسة وحتى انتهائهم منها بتوجيههم للجامعة أو للمستوطنات أو للخدمة فى الجيش[2].

ويصف الحاخام يهودا أعميكاى التلاميذ بهذه المدارس بأنهم جنود نظاميون لا يميزهم سوى أنهم يضعون على رءوسهم طاقية ويرتدون الملابس الدينية، وكل تلميذ فيها يعد جندياً جيداً.

---

(١) سمير سمعان- المرجع السابق.

(٢) سمير سمعان- المرجع السابق.

إلا أن ما يحدث فى هذه المدارس يواجه بانتقاد من قبل مجموعة أخرى من الإسرائيليين ترى أن ما يحدث فيها يعد عملية غسيل مخ دينية خاصة وأنها تركز على سفر يوشع بن نون المؤلف من ٢٢ فصلاً كلها تزخر بمظاهر العنف منها:

«حذار أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التى أنت آت منها».

«مدن تلك الشعوب لا تستبق فيها شخصاً واحداً».

«اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة ضاجعت الرجال».

«كل مكان تطؤه قدماك سأعطيك إياه».

لم يكن غريباً على أحد حاخامتهم- عوبديا يوسف أن يصف العرب بأنهم أفاعى، بينما أكد آخر- أبراهام أفيدان أنه يجب على الجنود الإسرائيليين أن يقتلوا أعداءهم المدنيين ذوى السلوك الجيد فقد جاء فى التلمود «اقتل النخبة من غير اليهود».

أما الحاخام موشى بن زيون أشبيزاى فذهب إلى أن الشعب الذى يسكن أرض كنعان يجب أن يكونوا عبيداً لإسرائيل، وأن الفلسطينيين بلاء مذكور فى التوراة.

أما كاهانا زعيم الحاخامات المتطرفين فقد وصف حرب إسرائيل مع العرب بأنها حرب بين الله والأغيار، وأن العرب فى إسرائيل يمثلون امتهاناً لاسم الله، وأن إبعادهم ليست عملية سياسية بل عملية دينية، فلنطرد العرب حتى نصل إلى الخلاص هكذا يردد دائما.

ويتم التركيز فى المدارس الدينية على اللغة العبرية، ودمج الدين بالقومية مع غرس العنصرية والعدوانية والتوسع، من خلال تكثيف دراسة التوراة والتلمود، وبشكل خاص تلك الأجزاء التى تحض على قتل الغرباء، ليتحول طلاب التعليم الدينى إلى أشد المتعصبين للصهيونية والاستيطان، وبعد تخرجهم من هذه المدارس يتم تحويلهم إلى الكليات الدينية.

وتشرف وزارة الدفاع على عدد كبير من المدارس الدينية وتقوم بتوجيه عدد كبير من الطلاب للدراسة فى فروع محددة لصلحة الجيش أثناء دراستهم الثانوية.

ولا تقتصر العسكرة على المدارس الدينية فقط بل تمتد أيضاً للمدارس الأخرى والتى يتولى إدارة العديد منها ضباط متقاعدون بالجيش، أشهرهم إيهودياتوم والذى خدم فى الشاباك وبعد تقاعده تولى إدارة إحدى المدارس الثانوية فى ناتاليا.

وهناك مشروع تسافتا الذى تتبناه الدولة العبرية بتأهيل ضباط سابقين فى الجيش للانخراط فى العملية التربوية بعد أن تشربوا الروح العدوانية حتى حدها الأقصى من خلال عملهم بالموساد أو الشاباك. وقام المشروع بتخريج ٣٠٠ ضابط تم وضعهم فى المؤسسات التعليمية.

ويبدو أن العسكر فى إسرائيل لهم اليد الطولى هناك، يسيطرون على جميع أجهزة الدولة بما فيها المؤسسة التعليمية.

إلا أن عسكرة المدارس كان له تأثير سلبى من ناحية أخرى، ويبدو أن المتبنين لهذا المشروع لم يدر بخاطرهم أن السلاح الذى أشهروه سيرتد ثانية إلى نحورهم، فالتربية على العنف بالطبع لم تفرز إلا عنفاً وهو ما لم يتم أخذه فى الحسبان.

فالمدارس الإسرائيلية تعانى من ظاهرة انتشار الجرائم منها، وهو تعد انعكاساً للمجتمع هناك الذى تمثل فيه نسبة الجرائم أعلى من معدلاتها فى الدول الأخرى إن لم تكن الأعلى.

من هنا كانت محاولاتهم الدائمة على تفريغ هذه الشحنة العدوانية وتصديرها للخارج، خوفاً من تفجيرها داخلياً فتحدث كارثة تحاول الدولة العبرية دائماً النأى عنها.

من هنا تحرص المدارس الإسرائيلية على غرس الروح العسكرية فى نفوس طلابها، والتركيز على العداء للآخر، وهو غالباً العربى الفلسطينى، وهو ما تنبه إليه بعض الباحثين الإسرائيليين الذين أكدوا على خطورة ما يحدث فى المدارس الإسرائيلية التى كادت أن تتحول إلى معسكرات[1].

جامعة تل أبيب أجرت دراسة حول تأثير مناهج التعليم الصهيونية على مواقف الطلبة اليهود، اتضح من خلالها أن الأطفال من الصغر يبدءون فى تكوين تصور سلبى عن العرب لمجرد كونهم عرب.

بحث آخر توصل أيضاً إلى أن المناهج الدراسية تكرس الصراع الصهيونى العربى وتقولبه فى إطار الرواية الصهيونية التقليدية القائمة على إنكار حق الشعب الفلسطينى فى أرضه ترسيخاً لمزاعمهم شعب بلا أرض، لأرض بلا شعب.

لكن بالرغم من ذلك، وبعد مرور أكثر من خمسين عاماً على عمليات عسكرة المناهج التى تقوم بها إسرائيل إلا أن ذلك لم يخلق فى الكيان الصهيونى انتماءً حقيقياً، والدليل على ذلك أن أكثر من مليون صهيونى غادروا الدولة العبرية منذ انتفاضة الأقصى، فمن الصعب أن يضحى الصهيونى فى سبيل بلده، معظمهم جاء إلى أرض العسل واللبن، فإن لم يجدها فر هارباً منها[2].

ومن يطلع على نماذج التربية فى المدارس الإسرائيلية فى سائر المراحل الدراسية تتكون لديه فكرة راسخة بأن هذه التربية تقوم على روح العسكرة والالتحاق بالجيش وإعداد الطفل منذ نعومة أظفاره ليصبح متفائلاً بروح أسبرطة، هذه الروح التى سادت إسرائيل منذ قيامها عام ٤٨، فتغلغلت فى سائر الأجهزة الرسمية والشعبية الإسرائيلية ضمن محاولة لخلق الإسرائيلى الجديد الذى خرج منتصراً فى حربه ضد سبعة جيوش عربية، فعاد ليقيم دولته بعد ألف عام، وهذا جزء لا يتجزأ من الادعاءات التى تحمل الطابع الأسطورى.

---

(١) عبد القادر ياسين- دراسة- آخر ساعة.

(٢) عبد القادر ياسين- دراسة- آخر ساعة

وقد اشتدت هذه الروح بعد عدوان يونيو ٦٧ بعد أن تمكنت القوات الإسرائيلية من احتلال عشرات الآلاف من الكيلومترات المربعة من مساحات الوطن العربى فى سوريا ومصر والأردن ولبنان وفلسطين، مما مكن الجنرالات العسكريين من الانتقال إلى الحياة السياسية واحتلال مناصب ومواقع عليا فى قمة الحكم ليكونوا فيما بعد النخبة الحاكمة القادرة على توظيف هذا النصر وتوجيهه لصالح التربية الصهيونية خاصة بعد أن لمعت أسماء هؤلاء القادة العسكريين وأصبحوا فى نظر الناشئة اليهود نماذج بطولية، وأن يحتذى بها فى كل زمان ومكان على طريق تحقيق أسمى الأهداف الصهيونية وأكثرها إغراء وإشباعاً للطموح الصهيونى المتجذر فى أذهان أبناء ذلك الجيل والأجيال التالية، ومن هذه النماذج برزت أسماء إسحق رابين وعيزرا وايزمان وايهود باراك وإريل شارون، والآخرين الذين سبقوهم إلى الموت من أمثال موشيه ديان، ويغال ألون وإسرائيلى جليلى ورحبعام زئبقى رواد الاستيطان المسلح على أرض فلسطين[1].

أفكار هؤلاء الجنرالات التى تعكسها أقوالهم تحمل كثيراً من العنف والدموية فجاء فى كتاب مناحم بيجن «الثورة فى قصة الأرغون».

[لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيل ولا فى أرض إسرائيل، ولن يكون هناك سلام للعرب ولا فى أرض العرب، وسنستمر فى تحرير وطننا من نير العرب لإنقاذ أرضنا كلها].

أما روفائيل إتيان رئيس الأركان السابق فأكد أن العرب يجب ألّا يكونوا أكثر من حشرات مخدرة لا تستطيع أن تتجاوز عنق الزجاجة للخروج منها.

أما مجرم الحرب الأكثر دموية فعبر عن كراهيته للعرب بقوله: العرب ليسوا بشراً بل أشياء يجب إزالتها- العرب مجرد حشرات.

هؤلاء الجنرالات أصبحوا فى نظر الناشئة اليهود نماذج بطولية يحتذى بها، وذلك نظراً لتركيز الكتب والمناهج الدراسية على إبراز أعمال هؤلاء الجنرالات وتعظيمها.

جاء فى صحيفة هآرتس الصادرة يوم ٣٠ مايو ٢٠٠١: إن مؤسستين إسرائيليتين بادرتا إلى دراسة ما آلت إليه التربية الإسرائيلية عبر ٥٣ عاماً والنتائج التى انعكست على المسيرة الإسرائيلية الداخلية ثم على العلاقات العربية الإسرائيلية خلال السنوات التى أعقبت مؤتمر مدريد واتفاقيات أوسلو ١٩٩٣ لمعرفة الانعكاسات التى تركتها هذه الاتفاقيات على العلاقات الفلسطينية الإسرائيلية باعتبارها المؤشر والميزان الحقيقى والعملى المنظور لهذه العلاقات التى ما تزال تمارس فى إطار من العداء الصارخ والحقد والعنف والصدام الدامى الذى لا يتوقف عند حد.

---

(١) خليل السواحرى- التوجهات العنصرية

ولـدى بحـث هذه النتائج خلصت الكاتبة إرناكازين إلى إعداد تقرير نشـرت صحيفة هآرتس ملخصاً له وأشـارت فيـه إلى الملامح العامة للتربية الإسـرائيلية المبنية على روح العسـكرة منذ الحضانـة التـى يبدأها الطفل الإسـرائيلى.. تقول الباحثة فى الواقع ليـس هناك أية غرابة فى القـرارات الأخيرة التى اتخذتها وزيرة المعارف فى حكومة شـارون ليمور ليفنات فهى تنسـجم والرياح التى تهب منذ سنوات فى هذه المؤسسة التى تضع التربية الإسرائيلية، وتصيغها لتلائم تعاليم جابوتنسـكى ويوسف ترومبلدور ومناحم بيجن ومنظمة بيتار. لقد ألغت ما بعد الصهيونية بحيث ردت على ذلك بإقرار تدريس موضوع جديد أشـد عنصرية تحت عنوان (تراب إسرائيل) لتطبـق بذلك توصيـات لجنة (شـنهار) التى أوصت بتوسيع الدراسات اليهودية كما أمرت هذه الوزيرة برفع العلم الإسرائيلى على جميع المدارس. هذا التوجه ليس سوى استمرار طبيعى للتوجه القديم القائم على تولى جهاز التعليم نشر قيم الجيش، وليس قيم الديمقراطية.

وتضيف أرناكزين: إن السـلام سـيأتى كما تقول الأغنية: لا تقولوا إن هذا اليوم سـيأتى بل عجلوا بمجىء هذا اليوم (مقطع من أغنية السلام الإسرائيلية) أى بدون التربية على الديمقراطية، فلن ينشأ فى إسرائيل جيل ناضج ومستعد لقبول السلام.

وفى مؤتمر حول العسكرة والتربية نظرية نقدية الذى عقد فى الجامعة العبرية ومعهد الكيبوستات عام ٢٠٠١ عاد الباحثون ليؤكدوا من جديد أن جهاز التعليم الإسـرائيلى لا يخلو فقط من التربية على المواطنة والديمقراطية. وإنما تقوم المدارس بالتربية على العسكرة، إن التصعيد فى الصراع مع الفلسطينيين وتقبل المواطنين الإسرائيليين لهذا التصعيد دون مفارقة هو نتيجة لهذه التربية[1].

تقول الباحثة حاجيت غور زئيف عن مركز التربية النقدية فى معهد الكيبوستات: إن التربية على العسـكرة تتم بأسـاليب مختلفة، ففى يوم الاستقلال يتسلق أطفال الروضات على الدبابات ويزينون روضاتهم بأعلام وحدات الجيش الإسرائيلى بدلاً من الاحتفال بقيم الديمقراطية والمساواة والسـلم، وهى فى الأعياد الأخرى الدينية فإن ما ينقل إلى الطالبة فى الغالب هو المفاهيم والقيم العسـكرية. فدائماً هناك تمييز بيننا وبينهم، الطيبون والأشرار، نحن وهم أى الغير وهم الأشرار فمثـلاً فى عيد الفانوس (الأنوار) يصور الآخرون بأنهم أشـرار ونحـن (اليهود) الطيبون، وهكذا المصريون الفراعنة فى عيد الفصح والعرب فى عيد الاستقلال والرومان فى عيد الخضرة، ويتجاهل جهاز التعليم معانى الثقافة والديمقراطية المفترض تعميمها فى هذه الأعياد[2].

وتضيف غور زئيف: إن كل معانى الديمقراطية تغيب عن برامج التعليم بسـبب التأكيد على تطبيـق قاعدة نحن وهـم الأغيار– الغويم، لا يتعلم الطلبة التمييز بين مركبات هذه الشـخصية

---

(١) خليل السواحرى– مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

الأسطورية، هل كان مردخاى طيباً (مردخاى شخصية يهودية أنقذت اليهود من بطش الملك بواسطة الحيلة فى قصة البوريم عيد المساخر) هل حافظ على يهوديته مقابل المس بالآخرين؟ وهل استعملت أستيرا (فتاة يهودية فى القصة) أنوثتها من أجل النجاة، ويمكن هنا التحدث مع الطلاب عن مدى استعمال النساء لأنوثتهن فى حالات كهذه وغيرها.

ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يجند الفن أيضا لغرس روح العسكرة فى نفوس الطلبة حيث تنظم لهم الرحلات لمشاهدة معارض فنية لتخليد ذكرى الجنود الإسرائيليين وهناك يكتشفون الرابط والعلاقة بين الفن وبين الجيش وتقول الباحثة فيرد شومهون: إن هذه الطريقة تجند الفن لتغطية المؤسساتية على بشاعة الحرب وويلاتها. ومن برامج الإذاعة الصباحية تجرى مقابلات مع رجال الجيش كخبراء فى شئون الصراع وفى الكنيست والحكومة يرون جنرالات متقاعدين فقط أو رجال دين يقررون مصيرهم.

وتذهب الباحثة ريلى مزالى، فى عرض روح التربية على العسكرة إلى القول: يدخل الجنود إلى الصفوف ويتحدثون أمام الطلبة عن فظائع الجيش الإسرائيلى دون أن يشير ذلك إلى أى تحفظ لدى الأهالى، وأكدت أن جهاز التعليم يبحث فى سائر المواضيع، مناهج التعليم، أساليب التدريس، تخصيص ميزانيات لكن هناك صمت عن العلاقة بين المدرسة والجيش، فى جهاز التعليم هناك، وظواهر عديدة يمكن اعتبارها بسهولة، مظاهر لنظام مناهض للديمقراطية لو أننا سمعنا أنها قائمة فى دول أخرى[1].

إحدى الظواهر البارزة فى هذا السياق هو تسلم ضباط كبار الجيش مناصب ووظائف إدارية فى المدارس بعد إنهائهم خدمتهم العسكرية، كذلك تحول وزارة المعارف مشروع «تسافتا» الذى يؤهل ضباطاً متقاعدين فى الجيش وجهاز المخابرات الشاباك للعمل كمربين يتم تدريبهم فى معهد (بيت بيرل) وقد تخرج منه حتى الآن أكثر من ٣٠ ضابطا يحملون الشهادات الجامعية الأولى، وفى السنوات الأربع عشرة الأخيرة تم إلحاقهم بمدارس مختلفة فى جميع أنحاء إسرائيل بعضهم درس سنة واحدة فقط للحصول على إذن للتدريس.

وهؤلاء كانوا يزورون المدارس يومين فقط قبل أن يتم تعيينهم فى وظائف إدارية. البعض منهم عينوا معلمين وآخرون درسوا سنة إضافية وعينوا فى وظائف تربوية ومنهم أيضاً من تولى مناصب كبيرة فى جهاز التربية دون أى تدريب أو إعداد مثل رون خولداتى (رئيس بلدية تل أبيب) وقبلها مدير حمباسيا هرتسليا، وكذلك دور ألونى. وتساءلت الخبيرة التربوية الدكتورة هنربيت لها كليب من جامعة تل أبيب عن إذا كان هذا الخلط بين الجيش والتربية يخدم التربية أو يعطلها ويشوه مسارها؟

---

(١) المرجع السابق.

كما تحدثت كليب- باحثة إسرائيلية- عن تجربتها الشخصية كأم لطفل يدرس فى إحدى مدارس بئر سبع فقالت: إن أولياء أمور الطلاب يبحثون عن النظام والطاعة فى المدرسة، يبحثون عن رجل قوى يفرض سيطرته لأن النظام التعليمى فى حالة انهيار، ويزداد العنف وليس هناك أى تفكير إبداعى لحلول الديمقراطية، أى إن طلب ضباط الجيش إلى المدارس يرتبط بموضوع العنف فى المجتمع الإسرائيلى.وضعف جهاز التعليم فى التربية وتنشئة الأطفال على النفور من الديمقراطية بل والاستخفاف بها[1].

عسكرة التربية لا تقتصر على تلك المظاهر فقط بل تمتد أيضاً فى المناهج الدراسية والتى تزخر بالعنصرية وتحث التلاميذ على فكرة العرب والتعامل مع ما ترتكبه المؤسسة العسكرية من جرائم باعتباره أمر عادى وطبيعى يستحقه العرب. فجاء فى قصة حاييم هزار- قراءات أرض إسرائيل المقررة على الصف الثامن والتى قام بتأليفها ناتان بريسكى عام ١٩٧٩ أنهم متعجرفون وشريرون، وأنذال، نحن لسنا شعب حرب لم نحتل مصر ولا أشور ولا بابل، ولا جبل لبنان القريب منا جداً، والذى رغب فى احتلاله واضع سفر الإنشاء وشعراء سفر المزامير من أسفار التوراة[2].

وهنا يكون تبرير الاحتلال مستنداً إلى تعاليم التوراة وهو ما يعكس مدى توظيف الدين فى خدمة الأهداف الصهيونية.

[وتعمد الكتب الدراسية على السخرية والتهكم من الجنود العرب].

فجاء فى قصة «جيوش العدو» لـ يتسحاق سديه وهو من أبرز قادة الإرهاب اليهودى فى عهد الانتداب البريطانى: [القادة العرب الذين كانوا واثقين من النصر علينا خلال أسبوع أو أسبوعين فقد فوجئوا بانتكاستهم لأن هناك فرقاً بين جندى يعرف لماذا يخرج للقتال ربى وترعرع على خدمة الشعب والوطن وبين جندى آخر خرج للقتال لأنهم حملوه بندقية وألبسوه بزة عسكرية وأرسلوه إلى ساحة القتال بناء على أوامر صارمة وليس بدافع وطنى، هكذا فإن الجندى المصرى برأى القادة المصريين لا ينبغى له أن يفكر، وجواب الجنود الوحيد لضباطهم دائماً هو: نعم يا سيدى].

ربما يكون سديه نادم على هذه الكلمات اليوم، فمن المؤكد أن قصته هذه جاءت قبل حرب ٧٣ والتى أثبت فيها الجندى المصرى شجاعة تفوق تصور جنرالات الحرب الإسرائيلية، ومن ثم يصبح من غير المنطقى استمرار تدريس مثل هذه الأكاذيب التى فضحها الواقع ولم يعد تدريسها أمراً منطقياً.

عموماً باعتراف علماء التربية الإسرائيليين فإن ما يجرى فى المدارس الإسرائيلية لا يخرج عن كونه عملية غسيل مخ، تصب فى النهاية فى اتجاه كراهية العرب.

---

(١) خليل السواحرى- مرجع سابق

(٢) المرجع السابق.

قصة «إليك» للكاتب موشيه شير والمقررة على الصف الثامن، تبرز التحريض المتعمد الذى تغرسه مناهج التعليم الإسرائيلية فى عقول النشء لاعتبار الحرب أمراً لا مفر منه ودعم وتبرير الحياة العسكرية التى باتت هى السمة الأساسية التى تميز المجتمع الإسرائيلى، جاء فى سطور إليك [هكذا هى الحياة، ولا تتحدثوا عن الموت، لأنه ليس منا، من يهرب من الخدمة أو من المعركة، و عندنا لا يرمون البندقية ويهربون، عندنا يحاربون حتى الطلقة الأخيرة، ليس لأن المحاربين من الفولاذ، ولكن لأن الحياة هكذا هى عندنا][1].

وفى وصفه لاحتلال مدينتى اللد والرملة جاء فى كتاب مطالعات إسرائيل المقرر على الصف الثالث أن الهجوم الذى أذهل العدو جعل العرب يهربون بهلع شديد، وأن الجيش العربى هرب خوفاً من المواجهة مع الجيش الإسرائيلى[2].

وبالطبع انعكس هذا الاتجاه المتعمد على عسكرة مناهج التعليم الإسرائيلية على طلبة وتلاميذ المدارس، واتضح ذلك من خلال استطلاع ٥٢٠ طالباً من الصفوف الرابعة والخامسة والسادسة بمدارس حيفا، أخطر ما جاء فى هذا الاستطلاع هو موقف هؤلاء التلاميذ من السلام[3] والذى أعرب فيه ١٠٪ فقط منهم عن رغبتهم فى السلام.

بينما رفض ٩٠٪ السلام والسبب كما وردت فى إجاباتهم:

فكتبت إحدى الطالبات تقول: يستحيل أن نتوصل إلى سلام لأن العرب يكرهون اليهود. بينما أكد آخر لا يجب طرد العرب من البلاد، يجب طرد عائلة العربى وطرد قريته برمتها، العرب هم بغالبيتهم كارهون لنا، ولا نستطيع التوصل إلى سلام معهم لأنهم يعتقدون أننا أخذنا أرضهم.

أعتقد أنه يجب نقلهم إلى أية دولة ممكنة، لأن لهم عدة دول عربية، ولنا فقط دولة واحدة.

وفى دراسة أخرى أجراها معهد (فان لير) استهدفت رأى الطلبة من العرب ووجودهم فى فلسطين والتى أجريت على شريحة عمرية تراوحت ما بين ١٥– ١٨ سنة كان من أبرز نتائجها:

- ٩٢٪ من الطلبة رأوا أن لليهود الحق الكامل فى فلسطين.
- ٥٠٪ يرون ضرورة تقليص الحقوق المالية للعرب داخل فلسطين.
- ٥٦٪ رفضوا المساواة بالعرب.
- ٣٧٪ يريدون فقط مساواة العرب فى الجيش.

---

(١) خليل السواحرى– مرجع سابق.

(٢) خليل السواحرى– مرجع سابق.

(٣) خليل السواحرى– مرجع سابق.

- ٤٠٪ أبدوا تأييدهم لأية حركة سرية تنتقم من العرب.
- ٣٠٪ أيدوا حركة (كاخ) الإرهابية.
- ٦٠٪ وافقوا على طرد كل عربى من فلسطين.

هذه الإحصائيات لا تثير الدهشة فيمن يعرفون جيداً ما يدور فى المدارس الإسرائيلية فأول الدروس التى يتلقاها تلاميذ هذه المدارس هو الارتباط بالوطن والتأكيد على أحقية اليهود وحدهم فيها. أحد هذه الكتب وأشدها فظاعة كتاب بعنوان مواضيع مركزية فى تاريخ الشعب والدولة إبان العصور الأخيرة من تأليف أمنون حيفر (وهو مستوطن كولونيا لى فى الضفة الغربية) ويهدف هذا الكتاب إلى إعطاء الطالب إحساساً عميقاً بالوطن بعد مئات السنين من (الشتات) وحياة الجيتو، واستفادة بالفرصة العابرة التى يحيى بها الإنسان الذى لم يكن منتمياً إلى أرض عبر الدهور ثم أصبح ذلك المنتمى إلى أرض[1].

وفى أحد فصول الكتاب جاءت الفقرة التالية:

[إن كل الأقوال بشأن الحقوق التاريخية التى يحفل بها النقاش بيننا وبين العرب تفتقد إلى الحقيقة وترجع إلى قلة الفهم وقلة المعرفة والدراية بتاريخ الاستيطان اليهودى فى أرض إسرائيل.

إن أميتنا ولدت فرضيات كاذبة بينها الفرضية القائلة أنه لدى عودتنا إلى البلاد- بعد هجرة دامت ألفى سنة وجدنا البلاد مستوطنة من قبل شعب آخر أقام لمدة مئات السنين، وهذا غير صحيح. الحقيقة هى أننا عندما أتينا إلى هنا الآن لم نلق أى شعب وبالتأكيد لم نلق شعباً أقام مئات السنين].

وانتماء اليهود إلى الأرض وحصراً أرض فلسطين، يسوغه المؤلف بالتناقض الحضارى بين اليهود الذى ينتمى إلى جنس (علوى حضارى) وبين عدوه (العربى) الذى ينتمى إلى جنس (دونى سفلى) وفى هذا الصدد يقول المؤلف:

[لقد حفرنا الآبار هنا نحن فقط بمقدورنا أن نبعث الحياة هنا بالمقابل فإن أعداءنا ليس بمقدورهم إلا ردم الآبار وزيادة الفقر].

ويضيف:

[إن العلاقة بين شعب وبين وطنه يجرى تحديدها ليس بواسطة سلطة الشعب على الأرض بل بواسطة سلطة الأرض- الوطن- على الشعب. من خلال المكانة التى تحتلها الأرض فى حياة الشعب. وها هى ذى أرض إسرائيل بوصفها بلاداً أشهدت حياة تاريخية لم تكن فى مثل هذه

---

(١) أنطوان شلحت- مرجع سابق.

الوضعية إلا على أيدى الشعب اليهودى. ففى أيدى الآخرين كانت أرض إسرائيل مجرد منطقة أو قطاع أو جليل، ولم يكن لها وجه تاريخى إلا على أيدينا].

وتأكيداً على مقولة أرض بلا شعب يواصل المؤلف قوله [لم يقم العرب البتة فى أرض إسرائيل ولم ينشئوا البتة حكماً محلياً ولم يبنوا ثقافة أو لغة أو قومية متميزة.

لم يتواجد الشعب الفلسطينى جملة ولا تفصيلاً ولا هو من المخلوقات ولكن إذا ساعده يهودنا فى أن يكون فسيكون. على رغم ذلك ثمة احتمال بأننا شهود على تكوين «شعب فلسطينى» فى مثل هذه الحالة أيضاً يجدر التذكير بأن هذا الشعب هو من مواليد عصرنا ولا يزال محتاجاً «لحقن» أيديولوجية سياسية من أجل التواصل والوجود][1].

ويبذل المؤلف قصارى جهده فى مواجهة أى إحساس بتأنيب الضمير ربما يشعر بها بعض الإسرائيليين إزاء ما تقوم به الدولة العبرية من جرائم واضطهاد للشعب الفلسطينى فيقول:

يوجد بين ظهرانينا من تعتورهم حالات شعور بالذنب جراء الإثم التاريخى الذى ألحقناه بالعرب، والمتهم الرئيسى فى وجود الشعور بالذنب المنتشر بشكل خاص بين أوساط الشبيبة هو برامجنا التدريسية التى لا يحتل فيها موضوع تعلم تاريخ أرض إسرائيل المكان اللائق به.

إلى هذا الحد يصل بهم الأمر.. فبالرغم من العنصرية وإنكار حقوق الشعب الفلسطينى هى المبادئ الأساسية التى تحفل بها كتب التعليم فى إسرائيل، إلا أن الجرعة- على رغم كثافتها لا تشبع البعض فى إسرائيل- من هنا كانت مطالباتهم بالمزيد والمزيد- ومع ذلك لم نسمع أحدا يطالبهم بتنقية مناهجهم من العنف والحقد وتكريس الدعوة إلى قبول الآخر.

ليس غريباً إذن أن تذكر هذه الأصوات المذابح والجرائم التى ارتكبتها إسرائيل فى حق الشعب الفلسطينى، وهو إن دل على شىء فإنما يدل على المدى الذى وصلت إليه الدولة العبرية فى تنشئة طلابها على قبول القتل والتشريد والإبادة وغيرها من الجرائم التى ترتكبها ضد الفلسطينيين ليصبح بالفعل تلميذ اليوم جنديا ملتزما بتعاليم الحياة العسكرية الإسرائيلية.

بعض الافتراءات على المجازر التى تعرض لها العرب خلال حرب ٤٨ يبررها أراجيف حيفر بقوله[2]:

إن مقولة: اللاجئون العرب هم شعب جرى تشريده عن أرضه كاذبة- الحقيقة أن العرب اختاروا أن يهاجروا من بلاد ذات أكثرية يهودية حتى يعيشوا بين الشعوب العربية، وعمليا لم تعترف أية دولة عربية بالشعب الفلسطينى، وبالإضافة إلى ذلك لا توجد ذرة من الحقيقة

---

(١) شلحت- مرجع سابق.

(٢) شلحت- مرجع سابق.

فـى «حكايـات الفظائع» عن ذبـح العرب فى أعقاب معركة «دير ياسـين» الحقيقة هى أنه فى هذه المعركة شـارك مقاتلو «اتسـل» «وليحى» ولقى ١٥٠ عربياً مصرعهم. ولم يخل العرب النساء والأطفال الذين تمترسوا فى البيوت إبان القتال. ولذا كان بين القتلى نساء وأطفال.

ونجد مثل هذا التبرير لذبح النسـاء والأطفال فى دير ياسـين مسـاوياً له ومطابقاً فى أكثر من رواية إسرائيلية رسمية عن المذبحة.

وإذا كانت بعض الروايات الإسـرائيلية تتخذ جانب التحفظ من المذبحة باعتبارها عملاً نفذه «الإتسـل والليحى» يتخذ التبرير- فى روايات أخرى- شكل الهجوم منفلت العقال على العرب الذين يسـتغلون حتى الآن اسم دير ياسـين لتلطيخ سمعة دولة إسرائيل ويعممون الشائعة بقصد زيادة كراهية العرب لليهود.

وتركـز كتب كثيرة على تقديم وجه آخر لممارسـات إسـرائيل الصهيونية أمام العالم. بهدف دفع الطالب الإسرائيلى دفعاً هائلاً، لكى يخوض غمار الحرب ضد العدو العربى بكل ثقة وبكل إيمـان بعدالـة الذى يدافع عنه. وأول الأمور التى يتعين الدفاع عنها تبعاً لمحتويات هذه الكتب ومنها كتاب(أسـطورة التشـريد الصهيونى) الصادر عام ٧٥. للكاتب لـ. أفنيرى. هو ربط اليهود بأرض المستعمرة (فلسطين) والحق المطلق لشعب إسرائيل فى العودة والاستيطان على أرض آبائه وأجداده. والهدف من ذلك تحصين الطالب الإسرائيلى بالمعلومات لتنفيذ الحجج التى يواجه بها الإسرائيلى لدى اطلاعه على الأدبيات العربية عامة وأدبيات منظمة التحرير الفلسطينية خاصة. ولا يرد ذكر لمنظمة التحرير بدون مرادفات غرضية فهى «ألد أعداء إسـرائيل» وهى التى تحاول أن تزعزع ثقة الإسرائيليين بمسألة عدالة قضيتهم لعلمها بأن هذه الثقة هى من أهم المركبات التى تنطوى عليها سطوتهم[1].

ولا يكتفـى المؤلـف بإثبـات الأحقية القانونية لليهود على أرض فلسـطين بـل يذهب أيضاً إلى إضفـاء الشـرعية القانونية والعرفيـة عن الأراضى بعد بيعها، وهـذه العملية اتخذت جانب الاستخفاف بحياة الإنسان لمجرد كونه عربياً.

هـذا التوجـه يصفه المفكـر الصهيونى آحاد هعام- والذى لا يمكـن اتهامه بحب العرب فى مقالته: «الحقيقة فى فلسـطين» بقوله: اعتدنا خارج البلاد تصديق أن العرب جميعاً وحوش فى الصحراء، شعب يشبه الحمار، لا يرون ولا يفهمون ما يدور حولهم. ولكنه خطأ فادح هذا الفهم، فالعربى مثل بقية بنى البشر ذو عقل صادق مراوغ هكذا يشهد شاهد من أهلها[2].

---

(١) شلحت- مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

ولا تدخر الكتب فى إسرائيل وسعاً فى إظهار الإشادة بالجندى الإسرائيلى المتشبث بعنفوانه وعجرفته، وفى المقابل يتم تصوير صورة الجنود العرب فى هيئة القساة المتوحشين غلاظ القلوب، صورة تفضح معها التوجه العنصرى ومحاولات «عسكرة» العملية التعليمية، والتى يكون نتاجها الدائم هو إفراز أجيال مشبعة بروح الاستعلاء والعدوانية والحقد.

وعن تأثير آثار التعصب على طلبة المدارس وهى الدراسة التى قام بها عالم النفس الإسرائيلى- جورج نمارين، لبحث آثار التعصب من حيث وجوده فى أيديولوجية الشباب الإسرائيلى، وأى تأثير تدريسى للتوراة بطريقة غير نقدية على إمكانية تشكل اتجاهات التعصب المختلفة، خصوصاً فكرة «الشعب المختار» وسموا الشريعة الموسوية، ودراسة أفعال الإبادة الجماعية التى مارسها الأبطال التوراتيون. وقد ركز تامارين على أكثر صور التعصب تطرفاً وهى صورة الإبادة الكاملة للجماعية المعادية، وأعد لها (١٠٦٦) استمارة استبيان ذات محتوى واحد، أجاب عليها (٥٦٣) فتى و(٥٠٣) فتيات فى مختلف الأعمار ومختلف المدارس، وتطرقت الاستمارة لسفر (يوشع بن نون) فى الكتاب المقدس والذى يدرس فى المدارس الإسرائيلية من الصف الرابع وحتى الثامن وكان السؤال كما يلى:

إنك تعرف جيداً المقتطفات التالية من سفر يوشع:

فهتف الشعب وضربوا بالأبواق، وكان حين سمع الشعب صوت البوق، أن هتف هتافاً عظيماً، فسقط السور فى مكانه، وصعد الشعب إلى كل رجل وأخذوا المدينة، وقضوا على كل من قبلها، بغير تفرقة بين رجل وامرأة وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف (يشوع ٢٦: ٢٠).

وأخذ يوشع مقيدة فى ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم ملكها هو وكل نفس بها، لم يبق شارداً وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك أريحا، ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى لبنة، وحارب لبنة قدفعها الرب هى أيضاً بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها، لم يبق بها شارد وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا (يوشع ١٠، ٢٨، ٣٠).

ثم طلب تامارين من الطلبة الإجابة عن السؤالين التاليين:

١- هل تعتقد أن يوشع بن نون والإسرائيليين قد تصرفوا تصرفاً صحيحاً أو غير صحيح، اشرح لماذا اخترت هذا الرأى.

٢- لنفترض أن الجيش الإسرائيلى خلال الحرب احتل قرية عربية فهل هو حسن أو سيء أن يتصرف على هذا النحو مع سكان هذه القرية كما تصرف يوشع بن نون مع شعب أريحا؟ اشرح لماذا؟[1].

---

(١) سمير سمعان- مرجع سابق.

ولقد اختار الإبادة الكاملة التى قام بها يوشع بن نون- نظراً لأن هذا السفر يحتل مكانة خاصة فى نظام التعليم الإسرائيلى ما بين ٦٦٪ و٩٥٪ وفى تبرير ذلك قال بعض التلاميذ: كان هدف الحرب هو الاستيلاء على البلاد من أجل الإسرائيليين، لذلك فقد تصرف الإسرائيليون تصرفاً حسناً باحتلالهم المدن وقتلهم سكانها، وليس من المرغوب فيه أن يكون فى إسرائيل عنصر غريب: إن الناس من مختلف الأديان يمكن أن يؤثروا تأثيراً لا حاجة للإسرائيليين به.

أما السؤال الثانى فكانت إجابة ٣٠٪ من التلاميذ بشكل قطعى نعم- وكتب أحد التلاميذ مبرراً ذلك أعتقد أن كل شىء جرى بشكل صحيح إذ إننا نريد أن نقهر أعداءنا وتوسيع حدودنا ولكننا نحن أيضاً قتلنا العرب كما فعل يوشع بن نون والإسرائيليون.

وكتب آخر: فى رأيى يجب على جيشنا فى القرية العربية أن يتصرف كما تصرف يوشع بن نون، لأن العرب هم أعداؤها، فهم حتى فى الأسر سيفتشون عن إمكانية ليبطشوا بحراسهم.

أثارت نتائج هذه الدراسة ضجة كبرى فى إسرائيل، والسبب أنها كشفت بطريقة علمية وموضوعية عنصرية المجتمع الإسرائيلى[1].

فالمناهج التعليمية الإسرائيلية تكرس النظرة الاستعلائية تجاه العرب والمسلمين وتغرس الحقد والعنصرية، لذلك لا نستغرب كثيراً أن هؤلاء يتحولون حين يكبرون وينخرطون فى الجيش إلى قتلة يرتكبون الجرائم والمذابح، ولا يقلون سوءاً ودموية عن النموذج الأبرز فى هذا المجال- شارون[2].

ويخطئ من يتصور أن تغييراً ما حدث على هذه المناهج بعد اتفاقية أوسلو وهو ما أقر به الكاتب الإسرائيلى دانى بارل طال «فى كتابه تأثير عملية السلام على مضامين كتب التدريس والذى جاء فيه» [إن من يعتقد أن تغييراً جديداً طرأ على كتب التدريس منذ عام ١٩٥٣ وحتى اتفاقية أوسلو تكون خيبة الأمل من نصيبه، وهو ما تأكد له من خلال البحث الذى أجراه عن كتب التعليم بعد أوسلو، وتبين أن التغيرات التى أجريت على المناهج الإسرائيلية لم تكن سوى تغييرات تجميلية، وأن أغلبية الكتب تشدد على بطولة الشعب اليهودى وتبرزه بشكل فوقى سوبر مانى، فهو صاحب قضية عادلة يحارب من أجلها ضد عدو عربى مسلم يرفض الاعتراف بوجود الشعب اليهودى فى إسرائيل، كما وأن الحديث عن اليهودى يتم عبر جميع الأوصاف الإيجابية، فهو صاحب أخلاق مبشر بالتطور والازدهار- بينما يفكر العربى دائماً وفقاً لأفكار نمطية سلبية، والتعامل معه يجب أن يتم من خلال إلغاء شرعيته وإنسانيته].

---

(١) سمير سمعان- مرجع سابق.

(٢) سمير سمعان- مرجع سابق.

ليس غريباً أن الكتب الدراسية المقررة من قبل وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية كانت وما زالت ترتكز على تحقيق المشروع الاستيطانى الصهيونى فى المنطقة العربية، الهادف لاحتلال الأرض العربية بعد اقتلاع السكان العرب الأصليين من أراضيهم وأماكن سكناهم وإبادة وتدمير الأشكال والأنماط السكنية العربية، وبناء المستوطنات على أنقاضها وجلب المستوطنين اليهود وتوطينهم فيها، فتقوم سلطات الاحتلال الإسرائيلى وفق منهجية ثابتة تعود إلى التاريخ الاستعمارى- الاستيطانى بوضع اليد والسيطرة الفعلية والمطلقة على كل ثروات وخيرات وكنوز الأراضى العربية ومصادرة هذه الثروات لتتحول بعد نهبها إلى تكتلات استيطانية، يتقبل الطلبة كل هذه الجرائم بشكل طبيعى بعد أن تربو فى مدارس تفننت فى زرع بذور العنف فيهم، والتى لا تدخر وسعاً فى تلقينهم المبدأ الصهيونى الهادف إلى إعطاء إسرائيل الحق فى ضم الأراضى العربية على اعتبار عدم وجود قدسية لهذه الأرض يحظر معها منحها لليهود.

مع الإيحاء بوجوب ضم أراضٍ ومناطق من الأقطار العربية إلى الدولة العبرية وأن عدم إلحاقها بها هو إجحاف بحق إسرائيل.

فى بحثه عن الصراع الإسرائيلى فى كتب التاريخ المدرسية أكد الباحث الإسرائيلى إيلى يوديا- المحاضر بجامعة حيفا- على أن كتب التدريس الإسرائيلية حالت دون تحقيق السلام مع العرب، وساهمت فى إشعال جذوة الصراع الفلسطينى العربى وكرست حالة الحرب، وحالت دون التوصل للسلام مع العرب ووصف هذه المناهج بأنها منحرفة وأنها تتميز بطغيان الصورة النمطية والأفكار المقولبة، حيال العرب وزرع الكراهية فى نفوس التلاميذ الإسرائيليين إلى حد الاستنتاج بأن ما جرى داخل جدران المدارس الإسرائيلية قد أثر إلى مدى بعيد فى قرار الحرب والسلام لدى قادة الدولة العبرية، وأشار إلى أن هذه الكتب قادت بطريق غير مباشر إلى إثارة الصراع المسلح، وأقر بأن ثلاث أرباع الكتب فى المدارس الإسرائيلية ليست مجازة مما يعنى تعرض التلاميذ إلى مواد أكثر خطورة.

وتوصل أيضاً إلى أن كتب التاريخ تعمق القيم الصهيونية وتغرس الأساطير وسعت إلى شيطنة العرب وتجريدهم من إنسانيتهم مما أدى إلى ترسيخ صورة نمطية لدى الإسرائيليين الذين تظهرهم الكتب المدرسية بصورة الغربيين المتحضرين صانعى السلام مقابل صورة العرب الخونة العدوانيين المتخلفين المجرمين الخاطفين القذرين والمبادرين دوماً نحو التدمير.

من هنا كانت ردود الفعل حول زيارة السادات لإسرائيل والدعوة للسلام غريبة، ما جاء على لسان وزير التعليم السابق زيولون هامر عندما قال هناك زعماء يظنون أنهم إن لم يكونوا قادرين على القضاء علينا فى ميدان المعركة فإنهم سينجحون فى فعل ذلك عن طريق السلام[1].

---

(١) القدس- ٣٠ تموز ٢٠٠٤.

وهو دليل آخر على أن القائمين بالعملية التعليمية فضلاً عن المناهج تكرس جميعها قناعة أن السلام مع العرب يهدد إسرائيل.

هل تتفق هذه المناهج مع ادعاء إسرائيل أنها مدنية؟!

للإجابة بالطبع هى النفى، والمناهج التعليمية خير دليل على ذلك بما تحمله من مضامين عسكرية، ويكفى أن وزارة المعارف تعتمد سنوياً برنامج يقوم على إرسال تلاميذ وأطفال إلى معسكرات تدريب لمدة أسبوع، بالرغم من صغر سن الأطفال المشاركين.

روح العسكرة هى سمة المجتمع الإسرائيلى والذى يعكسه مناهجها التعليمية.. وتصبح الدعوة لثقافة السلام مجرد قناع وأسطورة تضاف إلى أساطيرها الكثيرة.

وليس غريباً فى ظل هذا الوضع أن تغيب مناهج ومبادئ حقوق الإنسان والقانون الدولى واتفاقيات جنيف والمعاهدات الإنسانية فلا تدرس فى المدارس الإسرائيلية، وإنما يتم التركيز على التعصب القومى والتربية الشوفينية التى تتناقض مع جوهر التربية، فالطالب الإسرائيلى لا ينمو فى المدرسة ليصبح إنساناً بل جندياً ومستعداً دائماً للقتال. ولا يتغذى على قيم الإنسانية والتعايش وحوار الآخرين بل على شن الحرب والحقد على العرب فيصبح إما محارباً وإما سجاناً مجرداً من الشخصية الأخلاقية[1].

باعتراف وزير المعارف والثقافة الإسرائيلى هارون برلين بذلك بقوله: المدرسة الإسرائيلية تدرس قيم البطولة اليهودية وإنقاذ الأرض ولم تضع المدرسة أمام الأجيال اليهودية سوى الخدمة العسكرية والنزعة العسكرية. وهو ما دفع البروفيسور الإسرائيلى يعقوب لورخ أن يطلق على وزارة المعارف الإسرائيلية «وزارة الخنق» لأنها تغلق العقول وتنتهج سياسة غير إنسانية تجاه تربية أولاد اليهود لكل ذلك قيل على لسان الباحثين الإسرائيليين: إن المدارس فى إسرائيل لعبت دوراً بارزاً ومهماً فى تشكيل المواقف السلبية تجاه العرب والفلسطينيين وساهمت الكتب الدراسية فى تصعيد الصراع.

بل إن مصطلح (فلسطينيون) مثله مثل الخط الأخضر يبدو غريباً عن كتب التدريس الإسرائيلية... وحولت هذه التربية والتنشئة فى إسرائيل للشباب الإسرائيلى إلى جنود آليين ميكانيكيين بلا مشاعر وبلا أحاسيس لا ترتجف أيديهم عندما يضغطون على الزناد- اعترفت به المحامية الإسرائيلية فيليتيسا لا تفى[2].

بينما يؤمنون بأن الدم اليهودى لا توازيه دماء أبناء الشعوب دون استثناء.

---

(١) عيسى قواقع- الأسرى الفلسطينيون فى الشيفرة الثقافية الإسرائيلية ٢٩.

(٢) المرجع السابق.

حتى الكتب والنصوص الأدبية قد خلت من القيم الإنسانية والتفاعل الوجدانى مع الناس والشعوب والطبيعة والجماد، وركزت على العسكرية وإعداد الطالب للجندية، وكأنها تبنى أجيالاً من معدن وحديد. فهى تركز على الشخصية البطولية فى التاريخ اليهودى القديم، والحديث وصور المحاربين متجاهلة ما تركته هذه الحروب وهذه البطولات من تداعيات إنسانية عن الآخرين من تهجير وتشريد واعتقالات وهدم منازل وقتل وفقر وإذلال متمسكة بأوصاف عنصرية تحط من قيمة العربى وتثير حق التلاميذ الإسرائيليين عليه.

إسرائيل بذلك تحولت إلى جيش له دولة وليس دولة لها جيش كما وصفها الباحث الإسرائيلى شاحاك رئيس عصبة المدنية الإنسانية فى إسرائيل وأحد أبرز المعارضين الإسرائيليين للعنصرية.

فالنموذج الإسرائيلى لنظام العسكرة حالة متميزة تصح أن تكون قياسية ونمطية، ذلك لأنها ربما كانت الوحيدة فى العالم القائمة على أساس عاملين بارزين هى الدور والبنية. فإسرائيل تتمتع بدور الشرطى والجندى المسلح وتمتلك بنية الثكنة العسكرية داخل ما هو موجود فى هذا النموذج من بنى سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، موظف فى خدمة العاملين المذكورين: الدور والبنية ولكن كل ذلك يتم خلف واجهات ديمقراطية وفى ظل ادعاءات مصطنعة تتصل بمقولة الأمن المهدد واحتياطاته وضروراته وهذا الأمن هو الذى يغذى أيدولوجياً العنف العسكرى وأنماطه وهو الذى يوجد الذرائع لصعود الحياة العسكرية وقيمها داخل المجتمع الاستيطانى الصهيونى وهو أمر يؤدى الجيش والنخبة العسكرية فيه دوراً هاماً ومحركاً. ويذهب بعض خبراء الشئون العسكرية إلى أن يطلقوا على إسرائيل صفة دولة ديمقراطية العسكر[1].

□□□

(١) إحسان مرتضى- العسكريتاريا الإسرائيلية ودور العلاقات بين العسكريين والمدنيين فى إدارة سياسة الدولة. مجلة الدفاع الوطنى.